المجلة العلمية لكلية السياحة والفنادق
عدد خاص (٢٠٢١)
الرقم الدولي التسلسلي: ٢٣١٤-٧٠٢٤
الرقم الدولى التسلسلى الإلكترونى: ٢٦٨٢-٢١٨٠

رحلة البلوي إلى مدينتي قسنطينة وبجاية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.

شيماء عبد الحميد البنا
مدرس – كلية الآداب جامعة دمنهور

ملخص

لقد كانت رحلة البلوى في مدينتي قسنطينة وبجاية ما هي إلا جزء من جَهد فردى من أجل بعث التراث ونشره. فهي جزء من كتابه الرحلة الحجازية المسماة "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" لمؤلفه خالد بن عيسى البلوى .

فالبلوى من الرحالة الأندلسيون المشهورين بخصب التفكير وكثرة الإنتاج وعمق البحث .فقد خرج من بلاده بغرض أداء فريضة الحج والتطلع إلى المراكز الثقافية الإسلامية في المشرق ومقابلة الفقهاء والعلماء .

وهنا لابد من تعريف معنى الرحلة لغة واصطلاحاً . والتعرف على البلوى ورحلته في المكان ؟ومتى بدأت في مدينة قسنطينة ومدينة بجاية ؟ وقبل كل هذا توضيح ما الغرض الأساسي من رحلة البلوى بصفة عامة وفى مدينتي قسنطينة وبجاية بصفة خاصة ؟ وهل نجحت هذه الرحلة في أداء مهمها ؟ .

فهذه الرحلة عبارة عن رحلة جغرافية تاريخية أدبية اجتماعية لم تقل شأناً عن أي رحلة من رحلات المغاربة والأندلسية أمثال ابن رشد وابن بطوطة ولكنها تختلف عنها في بعض النقاط التي سنبرزها أثناء الحديث عن تفاصيل البحث .

هذه الرحلة سوف نتعرف من خلالها على كثير من الأشياء وأهمها مدى تطور النثر الأندلسي في القرن الثامن الهجري من خلال كتابات البلوى وأسلوبه.

كما أن هذه الرحلة وصفت لنا الحياة الفكرية عن طريق اتصالاته بالعلماء والفقهاء واحتكاكه به والعيش معهم لفترات طويلة وسوف نوضح ذلك في البحث .

فهذا البحث عبارة عن رحلة جغرافية تاريخية علمية في مدينتي قسنطينة وبجاية هامة ولذا سوف نستعرض هذا المكان بالتفصيل من خلال مشاهدات البلوى.

الكلمات المفتاحية :-
مدينة قسنطينة – مدينة بجاية – رحلة البلوى – علماء المغرب

مُقدمة :-

تُعتبر رحلة البلوى من الرحلات الهامة في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي و التي لا تقل أهمية عن غيرها من الرحلات بتلك الفترة . كما أنها تختلف عن غيرها من الرحلات في كثير من الأشياء كطريقة التدوين وطريقة زيارة الرحالة للمدن.

و تكمن أهمية هذه الرحلة في رصدها لبعض الأشياء التي قد يوجد ما هو الأهم منها لكنه لم يتطرق لها .وفى الدراسة إجابة عن أسباب ذلك ؟.

لقد كانت الدوافع والغايات من الرحلات كثيرة ؛ فإما أن تكون دوافع علمية تعليمية أو سياسية، أو سياحية، أو ثقافية ،أو حربية ، أو اقتصادية ،أو صحية، أو غيرها من الدوافع .

و رحلة البلوى في مدينتي قُسَنْطِينَة وبِجْاَيِة فالغرض منها علمي تعليمي والمدقق أكثر في الرحلة يجد الغرض منها سياسي علمي تعليمي ؛ فقد حرص البلوى على مُجالسة الحكام أصحاب المدن حرصاً شديداً لدرجة جعلتني أقول: إن البلوى مكث في هاتين المدينين لقضاء مهمة رسمية ، وهذا ما سنوضحه في البحث. كما أرى من خلال تتبعي لتلك الرحلة أن الرحالة شاعرُ كبير وقد أفاد أكثر ما استفاد . وعلى الرغم من أن رحلة البلوى ليست بقصيرة – فقد خرج البلوى من الأندلس في عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م إلى بلاد الحجاز وعاد منها عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م أي بعد أربع سنوات وبعد هذه الفترة دخل مدينتي قسنطينة وبجاية في هذا العام – إلا أن رحلته في هاتين المدينتين كانت أقل من شهر ولكن الإفادة منها كانت عظيمة . هذا وقد جاء البحث مشتملاً على عدة نقاط أساسية منها : جُغرافية مدينتي قُسَنْطِينَة وبِجْاَيِة ؛لأهمية ذلك في توضيح مدى القيمة الاستراتيجية والجغرافية للمنطقة.

كما انقسم البحث لمحورين هامين :الأول رحلة البلوى في مدينة قُسَنْطِينَة .والثاني رحلة البلوى في مدينة بِجْاَيِة .كما تعرضت الدراسة لإبراز نتائج هذه الرحلة وبيان مدى نجاحها .

المنهج المتبع في البحث :

المنهج المتبع في كتابة هذا الموضوع هو المنهج التاريخي والتحليلي والاستقرائي والذى يغلب عليه المنهجية التوثيقية، و يقوم على تلخيصٍ لحياة الرحالة، وأسماء الأماكن التي مر بها أثناء رحلته ، وزمن الرحلة، ومسارها. وتزين الصورة بتحليل نصوص الرحالة وتفكيك خطابها. لذلك كان الدور الأكبر للمنهجيين الاستقرائي والتحليلي .

دواعي اختيار الموضوع :-

دفعني لاختيار رحلة البلوى في هاتين المدينتين بالتحديد : عدم شهرة رحلة البلوى في مدينتي قسنطينة وبجاية .وطمس معالم هذه الرحلة فلم يذكرها غير القليل كأنها لم تحدث ،الأمر الذى يترتب عليه القول بأن الرحلة في هذه المنطقة عابرة ولم تأت بجديد ، فأردت تقصى الحقائق والوقوف على مدى صدق هذا الأمر ،وأخيراً معرفة دور الرحلة في هاتين المدينتين، لإبراز مدى التأثير والتأثر في تلك الرحلة .

لقد اعتمدت فى هذا البحث على كتاب تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"فقد قمت باقتباس النصوص ،ثم العمل على وصفها وتحليلها والوصول بها لنتائج أقرب للحقيقة.

تعريف كلمة رحلة لغة واصطلاحاً:-

يُقصد بالرحلة الارتحال ،والانتقال من مكان لآخر لغرض ماء، أو لنية معينة ، وقد تكون هذه الرحلة برية أو بحرية . وللرحلة دورُ كبيرُ وعظيمُ في التعلم ،ونقل العلوم ،والحفاظ عليها والآداب المختلفة.

فالرِحلةُ بكسر الراء :اسم للارتحال، يقال ارتحل البعير رحلة :سار فمضى ،ويقال ارتحل القوم عن

مكان ارتحالاً ،ورحل عن المكان يرحل ،وهو راحل من قوم رُحَّل :انتقل .

والرُحلة بضم الراء اسم للارتحال للمسيرة ،يقال: دنت رُحلتنا ،ورحل فلان ،وارتحل ،وترحل .ويقال :فلان عالم رُحلة يُرتحل إليه من الآفاق، أي ذاع صيته ،يرحل إليه طلبة العلم من الآفاق والرحلة اصطلاحاً الانتقال من مكان إلى مكان لتحقيق هدف من الأهداف. (الفيروآبادى ،ص٦٢٦؛ الجبرانى ،٢٠١٧، ،ص٦٠) والرحلة هي الارتحال وجمعها رحل .وفى التنزيل العزيز "رحلة الشتاء والصيف" صدق الله العظيم(قريش أية ٢).

ومن معانى الرحلة: كتاب يصف فيه الرحالة ما رأى .وبعير ذو رحلة أي ذو قوة على السير (ابراهيم أنيس وآخرون ،٢٠٠٤ ، ص٣٣٤-٣٣٥).

وهنا لابد من التعرف على جغرافية مدينة قسنطينة ،وما السر وراء أهميتها ومكوث الرحالة بها فترة ؟

جُغرافية مدينة قُسَنْطِينَة :-

قُسَنْطِينَة ،مدينة مشهورة ببلاد افريقية ،كبيرة آهلة فيها آثار للأوائل ، عامرة بالقرى ،بها أسواق وتجار ، وأهلها مياسير ذوو أحوال وأموال ومعاملات للعرب ،كما يتوافر بها الحنطة والعسل والسمن ،إضافة إلى ذلك فهي مدينة تقع على جبل كبير يشقه خندق عظيم يدور بالمدينة من ثلاث جوانب ،وبها نهر كبير ،معتدلة الهواء محصنة تتمتع بالمزارع التي تطل عليها بها الحنطة والشعير ،وبين قُسَنْطِينَة وبجَايَة ستة أيام ،أربعة منهما إلى جيجل[1]،ومن جيجل إلى بجاية خمسون ميلاً (الحميري ،١٩٧٥،ص٤٨٠-٤٨١).

مما سبق يتضح لنا الآتي :-

- وجود العديد من المميزات بمدينة قسنطينة ؛ مما يجعلها محطاً لأنظار الرحالة والجغرافيين . لذا يُعتبر البلوى قد أحسن الاختيار عندما وقعت عيناه على قُسَنْطِينَة واختياره هذا كان بعد دراسة وتدقيق وتحليل للمكان ،فالرحالة المتميز لابد أن يدقق النظر في المكان قبل المكوث فيه .
- على الرغم من وجود العديد من المميزات بهذه المدينة- قسنطينة - إلا أن الرحالة لم يذكر لنا عنها شيء ،وربما كان ذلك لاكتفائه بما ذكر في كثير من كتب الجغرافيين ،وصار اهتمامه لذكر مالم يذكر . أو أن هناك هدفاً آخر يبغى الوصول إليه.
- عدم اهتمام الرحالة بدخول كل المدن والأماكن بالمنطقة، وأكبر دليل على ذلك خروجه من قُسَنْطِينَة إلى بجاية رغم وجود مدن أخرى كجيجل التي تقع في طريقه ، ورغم ذلك لم يلتفت لذكرها ،مما يعنى أن البلوى كان يحدد جيداً الأماكن التي يريد زيارتها والمكوث بها كما كان يحدد رغباته وأهدافه من كل مكان يزوره .

جغرافية مدينةِ بجَايَة:- (الحميري، ١٩٧٥، ص ٧٩-٨٠)

بجاية :قاعدة الغرب الأوسط ، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها ،وتقع على جرف حجر

(١)مدينة قديمة ، عربية ،تقع على حافة البحر ،تحتل شبه جزيرة صخرية ، تتوافر بها منابع المياه ،كما تتمتع بالهواء الطلق ، مدينة آهلة بالسكان.محمود بن سعيد مقديش/أبي الثناء الصفاقسي "ت ١٢٢٨هـ" : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار،تحقيق محمد عثمان ،الجزء الأول ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ص٧٩،حفناوي بعلى : الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الغربيين ، دروب للنشر ،٢٠١٠م، ص٢٤١

ولها من جهة الشمال جبل يسمى امسيول وهو جبل سام صعب المرتقى ،وفى أكنافه جمل من النبات المنتفع به فى صناعة الطب مثل البرباريس وغير ذلك من الحشائش ،وهى عين بلاد بنى حماد والسفن إليها متكررة ،والسفر إليها براً وبحراً والسلع إليها مجلوبة وأهلها تجار مياسير ولها بواد ومزارع ،والحنطة والشعير بها والتين كثير وسائر الفواكه ،وبها دار لإنشاء الاساطيل لأن الخشب فى أوديتها وجبالها كثير (الحميري ،١٩٧٥، ص٧٩-٨٠).

مما سبق يتضح لنا أن مدينة بجاية غنية بمواردها الطبيعية وأسواقها كالمعادن الغالية النفيسة ، فهي مركز من مراكز اشعاع الحضارة الاسلامية ،فكان البلوى موفقاً فى اختياره هذا المكان .

التعريف بالبلوى :-

خالد بن عيسى البلوى[٢] القنتورى ٧١٣-٧٦٨هـ/١٣١١-١٣٦٥م ، أبو البقاء علم الدين الإمام القاضي ،الفاضل ، الكامل ،المتفنن ، الكاتب، الرحالة ،الأريب المطلع الأديب ، قيل عنه :من أهل الفضل ،كثير التواضع ، والخلق الحسن ،جميل العشرة ،محب الأدب، ارتسم بديوان الكتابة بتونس عن أميرها زمناً ،وكان يتشبه بالمشارقة شكلاً ولساناً، قضى ببلده وغيرها ،وقيد رحلته في سفره ،ووصف فيها البلاد ومن لقى ،الف رحلته عام ٧٥٥هـ/١٣٥٣م . (البلوى ،ج١،ص١٨؛ التنبكتى ،ص١٧٣؛ خيالي ،٢٠١٠،ص٣٢٩)

نشأته :-

ولد البلوى في قنتورية [٣] التى كان والده قاضياً بها ،وكانت ولادته عام ٧١٣هـ /١٣١١م ، رحل لبلاد المشرق عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٤م ،نشأ في أسرة علمية متدينة حيث تلقى تربية صالحة فأخذ عن والده ثم رحل لغرناطة ودرس بها ، وكان من أصدقائه الرحالة ابن الحاج النميري[٤] ومن أصدقاؤه أيضاً أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي ،الذى وصف البلوى بالعلم والفضل وحسن الخلق ، ثم رحل لتلقى العلم في المغرب الأقصى ،حيث أخذ بفاس عن عدة من العلماء، ثم عاد لقنتورية وبعد ذلك رحل إلى المشرق للعلم واستجازة للعلماء الكبار وبعد عودته للأندلس أصبح من رجال الفقه والأدب، فولى القضاء بمدينة قنتورية، ثم انتقل للقضاء ببُرشانةPurchena[٥].

لقد كان لنشأة البلوى أثر كبير في تحديد ميوله واتجاهاته الدينية العلمية ؛ فقد أخذ القرآن ومبادى العربية درس القراءات عن اثنى عشر شيخاً ،وكان الأندلسيون يُولون علم التجويد عناية كبرى ، كما

[٢]مفرد البلوى البلية ، وهى الناقة يموت صاحبها فتشد إلى قبره حتى تموت . خالد بن عيسى البلوى : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن بن محمد السائح ، الجزء لأول ،ص١٦ حاشية ١.

(٣) حصن من أعمال مدينة المرية يقع على نهر المنصورة الذى يخترق شمال ولاية المرية . المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،الجزء الثاني ،دار صادر ،١٩٦٨،ص٥٤٣؛ أبو الفداء: تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ،١٨٤٠،ص١٩٨؛ خير الدين الزركلي : الأعلام ،الجزء الثاني ،دار العلم ،بيروت ،ص٢٩٧؛ مجموعة من المؤلفين: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ،الجزء الرابع ، منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجبل ،بيروت ،٢٠٠٤،ص٨٠.

(٤)هو الأديب الشاعر الرحالة الدبلوماسى ،معاصر لابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب وابن بطوطة وغيرهم من أعلام ونخبة عصر بنى مرين. لمزيد من التفاصيل انظرابن الحاج النميرى :فيض العُباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ،اعداد محمد بن شفرون ،دار الغرب الاسلامى ،بيروت ،١٩٩٠،ص١٦ ؛حفناوى بعلى :صحراء الجائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات وفى الكتابات الغربية ،دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع ،٢٠١٨،ص٦١.

[٥]بالأندلس حصن على مجتمع نهرين وهو من أمنع الحصون مكاناً وأوثقها بنياناً وأكثرها عمارة . الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ،ص ٨٨؛ خالد بن عيسى البلوى : تاج المفرق ، الجزء الأول ،ص٢٥-٢٧؛ محمد عبد حتاملة : موسوعة الديار الأندلسية ، الجزء الأول ،١٩٩٩،ص٢٣٠.

أخذ عن أئمة تونس ،وأخذ عن علماء القاهرة والاسكندرية والقدس ،كما كان البلوى حر التفكير ،يميل إلى الاجتهاد ،ذو ثقافة فكرية فائقة ،ويُحسن السباحة ،فإذا اضطر لركوب أهوال البحر اعتمد على نفسه فسبح ،كما كان يُجيد الفروسية ،حيث تعلم النزال والضرب وأساليب الحرب (البلوى ،ج١،ص٢٨-٢٩).

مما سبق كله تبين لنا أن نشأة البلوى مثلت دوراً كبيراً في تكوين شخصيته ،فوظيفة والده قاضياً كان لها دور عظيما في تعلمه العدل والعدالة ،وحب ممارسة المهنة ، كما ساهم التدين الذى شب عليه في تحديد رغباته الدينية ،فقد حرص على الارتحال لبلاد المشرق، وأداء فريضة الحج ،وزيارة الأماكن المقدسة ،ومقابلة العلماء والفقهاء والكتاب .

لم تَقل رحلة البلوى شأناً عن أي رحلة أخرى انطلقت من الأندلس والمغرب ، فإذا قارنًا هذه الرحلة برحلة أخرى مماثلة لها في نفس عصرها نجدها قامت بنفس دورها ، ونجحت في أداء غرضها ،بل وفاقتها في بعض الأشياء ؛ فعند مقارنة رحلة البلوى برحلة ابن بطوطة ،وهما في القرن الثامن الهجري نجدهما نجحا في الدخول والتجول في البلدان ،والعيش بين العلماء والفقهاء والأخذ عنهم . لكنهما اختلفا في طريقة تدوين أخبارهم، وما شاهدوه في رحلتهم؛ فنجد البلوى قد فاق ابن بطوطة في طريقة التدوين والتوثيق ،فابن بطوطة دون كتاباته بعد عودته لبلاد المغرب ؛مما أدى إلى تعرض مذكراته ومشاهداته للتلف ،والسرقة ،أما البلوى فقد حرص على تدوين مشاهداته أولاً بأول فاحتفظ بها كاملة إلى حد كبير ،ولم يكتف بذلك بل حرص على مراجعة ما كتبه بعد رجوعه للأندلس والعمل على تنقيحه واطلاع أهل العلم والثقافة عليه. (البلوى ،ص٥-٦)

فرحلة البلوى تُبين لنا العديد من الحقائق منها:

أولاً: مدى تطور النثر الأندلسي في القرن الثامن الهجري، وأكبر دليل على ذلك أسلوبه الذى نم عن ذلك .فطريقة البلوى فاضلة في شكلها وأداء المعنى بأسلوب مزخرف ،وتكراره للجمل من أجل الشرح والبيان فأسلوبه له ذاتيته ومكانته.

ثانياً: إن كثيراً من المؤرخين والرحالة قد اهتموا بوصف الحياة الفكرية ،وتجلى عملهم من خلال تراجم أعلامهم ،لكن البلوى أضاف إلى هذه الناحية وصف الحياة الاجتماعية عن طريق عرض تجربته الخاصة ،وتوضيح اتصالاته برجال الفكر والرواية عنهم (البلوى ،ج١،ص٦).

لقد اشتهر المغاربة والأندلسيون بتأليف كتب الرحلات ،ويرجع ذلك لبعدهم عن مكة المكرمة ،ورغبتهم أداء فريضة الحج ،والتطلع إلى مراكز الثقافة الاسلامية ،ومن أبرز كتب الرحلات المشهورة في الأدب رحلة البلوى المسماه بتاج المفرق في تحلية علماء المشرق .واصفاً بها كل ما شاهده من الأقطار ،وتحدث عمن اتصل بهم من الرجال.

رحلة البلوى في مدينتي بجاية و قسنطينة ذهاباً :-

لقد مر البلوى بمدينتي قسنطينة وبجاية ذهاباً وإياباً ؛ففي المرة الأولى كانت رحلته عابرة ؛حيث تحرك من مسقط رأسه بالأندلس ودخل بلاد المغرب حتى وصل مدينة بجاية ومنها لقسنطينة .

دخل البلوى مدينة بجاية يوم الاثنين الثالث عشر من شهر جمادى الأخرة لعام ٧٣٦هـ واستقر بها فترة تجاوزت الشهر؛ حيث خرج منها بمنتصف شهر رجب تقريباً ،وخلال تلك المدة وصفها الرحالة وبالغ في وصفها إلى حد يشبه التغزل في امرأة حسناء ، فلم يترك شيئاً بها دون وصفٍ ،فوصف جمالها ومناعتها وأنهارها ومجارى المياه بها وحدائقها وبساتينها وأشجارها وتربيتها الخصبة ،كما وصف أهلها ،فقد لاقت هذه المدينة من نفسه ميولاً شديداً وحباً جماً ،لقد كان البلوى حريصاً على ملاقاة ومجالسة العلماء والفقهاء بها ؛فقد قابل الشيخ العالم المحدث أبا عبد الله محمد بن جعفر ،وكان قاصداً لهذا اللقاء للأخذ عنه والاستفادة منه فقد استمع منه إلى ما تتوق له نفسه وتشتاق إليه أذناه ،فقد نزل البلوى بمنزله وقابله مقابلة كريمة ،ونهل من فيض علمه كما نهله البلوى فكان لقاءاً علمياً حافلاً ، كما تلاقى البلوى مع جملة من الفضلاء . فقال البلوى عن بجاية حاضرة البحر ، نادرة الدهر ،موطن الفضلاء من أهل العصر ،ثم تركها باكياً على فراقها من شدة تعلقه بها .ودخل مدينة قسنطينة الذى وصفها وكأنها جزيرة تقع وسط الماء ،فالماء يحيط بها من كل جانب ،كما تتمتع بالنشاط التجاري الزراعي والتجاري ،وبها أسواق تجارية كثيرة يلتقى به التاجر والفلاح ،كما أنها مدينة غنية بشدة لدرجة أن البلوى يقول: إن بها ياقوتاً يفنى الدهر وهو لا يفنى وكان دخوله إياها يوم السادس عشر من رجب ،وقابل البلوى بها العلماء وخرج منها يوم الأحد الثامن عشر من رجب .(البلوى ،ج١،ص١٥٣-١٦٨)

كانت هذه الجولة السياحية للبلوى في مدينتي بجاية وقسنطينة ذهاباً ، وأثناء انتقاله من الأندلس إلى المشرق والذى مكث بهما –قسنطينة وبجاية – شهر تقريباً .وقد استمتع فيها البلوى برؤية المناظر الخلابة الجذابة والتى أراحت نفسه وأعطته فرصة للراحة ومقابلة العلماء والفقهاء وتبادل العلم والمعرفة معهم .

رحلة البلوى في مدينة قسنطينة اياباً:-

لقد خرج البلوى من تونس عند طلوع الشمس يوم الخميس السادس عشر لشهر رمضان عام أربعين – أي عام ٧٤٠هـ/١٣١١هـ –،ودخل مدينة باجة[٦] في عشى يوم الجمعة السابع عشر من رمضان ،ثم خرج منها في صباح يوم الأحد التاسع عشر من رمضان ثم دخل مدينة العُناب[٧] في ضحى يوم الخميس الثالث والعشرين منه ،وخرج منها في يوم الجمعة الرابع والعشرين ودخلت مدينة قسنطينة في عشى يوم الأحد السادس والعشرين من رمضان (البلوي، ج٢، ص ١١٥).

وهنا نتوقف بُرهة لتوضيح بعض النقاط الهامة من خلال شرح البلوى لرحلته ،فمن محاسن الصدف

(٦)باجة في افريقية :مدينة كبيرة أولية قديمة ،فيها آثار للأول ،ولها حصن حصين قديم مبنى بالصخر الجليل أُتقن بناؤه يقال إنه من عهد عيسى عليه السلام ، وباجة على جبل شديد البياض يسمى الشمس لبياضه.ابو الفداء : تقويم البلدان ،دار الطباعة السلطانية ،١٨٤٠،ص١٤١؛ الحميري ، الروض المعطار ،ص٧٥.

(٧) مدينة على ساحل البحر ،وهى مدينة جليلة ،عامرة خصبة الزرع ، كثيرة الفواكه ،رخية بظاهرها معادن الحديد ،ويزرع بها الكتان الكثير . أحمد بن علي/القلقشندي ت٨٢١هـ : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد الخطيب ، الجزء الخامس ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ص١٠١.

دخول البلوى هذه المنطقة في العشر الأواخر من شهر رمضان ،للتعرف على بعض عادات وتقاليد أهل هذه المنطقة ،خاصة أنه مكث بمدينة قسنطينة يوم عيد الفطر .إن البلوى قد بدأ رحلته في المنطقة بمدينة باجة ولم يمكث بها غير يومين ولم يتحدث عن أي شيء في هذه المدينة .كما وضح لنا انه انتقل من باجة إلى مدينة العناب بعد أربعة أيام قضاها في تنقل للوصول إليها، من أجل أن يُبين لنا مقدار المسافة التي يستغرقها المسافر بين هاتين المدينتين. والأمر الذى يدعو للاستغراب أيضاً أنه لم يتحدث عنها ،لذا كانت رحلته عابرة بهذه المدن ،كأن البلوى كان يبحث عن شيء لم يجده في هذه الأماكن ،لكن الوضع لم يستمر طويلاً وسيتغير في مدينة قسنطينة ،كما أننا سنتعرف من خلال ذلك على ميول واتجاهات رحة البلوى ،وما هو أهم شيء يبحث عنه.

قال البلوى مستكملاً الحديث عن رحلته فنزلت بمنزل صاحبنا الفقيه ،الجليل ،الكاتب ،البارع الناظم ،الناثر، الماجد ،الأكمل، أبى اسحاق ابراهيم بن الوزير ،الكبير ،الحسيب، الأصيل أبى محمد عبدالله بن الحاج النميري الغرناطي [٨]،ذى المعالى العلية ،والفنون العلمية ،والحكم الأدبية والآداب الحكيمة ،والكرم المفضل، والفضائل الكريمة، والبلاغة التي لها على البلغاء مزية المزيد ،ومزيد المزية ،مع الحسب الأصيل، والكفاية في طلب العلم والتحصيل ،والمعارف التي بها جيد الزمان حال على الجملة والتفصيل، شهادة قبل أداؤها من كل نفر ،ويثبتها قول الفاروق رضى الله عنه الذى زكى عنده رجلين ،أكنت معهما في سفر ،فهو صديقي المحق ،ورفيقي المرفق ،ومعاشري ذاهباً وآئباً في بلاد المشرق ،فتهادينا تحية الأصدقاء وتنادمنا بحديث ذلك السفر وأولئك الرفقاء، ولا تسئل عن حسن هذا الاجتماع وأنس هذا اللقاء.(البلوى ،ص١١٥-١١٦).

مما سبق يتضح لنا أنه منذ أن وطأت قدم البلوى لمدينة قسنطينة ،نجده يتحدث عن منزله والمكان الذى اختاره ،وأحب الاستقرار فيه ،ومن هنا نستطيع أن نحدد ميول واتجاهات البلوى ،فقد اختار منزل أحد الفقهاء للراحة والاستقرار ، وكان حريصاً كل الحرص على إعطائنا وصفاً دقيقاً لهذا الفقيه من أخلاق ،وأدب جم ،وعلم واسع ،وفى وسط كل هذا ركز البلوى على ميول الفقيه من اهتمام بالغ بالأدب وعلم البلاغة ،وذكر لنا أن هذه الشهادة لم تنسب للبلوى فقط ؛فمعظم الناس تشهد له بذلك .كما كان البلوى حريصاً كل الحرص على توضيح مدى العلاقة القوية التي كانت تربطه بهذا الفقيه ، فقد كانوا أصدقاء رفقاء ذهبوا سوياً لبلاد المشرق وكم كان البلوى سعيداً برفقته والجلوس معه .

وقد عبر البلوى عن مدى ارتياحه للجلوس مع الفقيه أبى اسحاق ابراهيم بن الوزير الكبير بشعره قائلاً:

حديث تخال الروح عند سماعه لما هز من أعطافه تتقصف (البلوى ،ص ١١٦)

ومن هنا يتبن لنا مدى حب البلوى للشعر ومجالسة الشعراء والمسامرة معهم .

ثم يكمل البلوى حديثه؛ فيقول : نما الخبر إلى حفيد مولانا السلطان الأجل الأسنى الأسمى الأكمل ،أبى

[٨]أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله محمد بن ابراهيم النميري الغرناطي ،المعروف بابن الحاج ،المتوفى سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م شاعر وكاتب ،له تأليف كثيرة منها اللباس والصحبة الذى جمع فيه طرق المتصوفة .نبيل خالد الخطيب :لسان الدين ابن الخطيب نثره وشعره وثقافته فى إطار عصره ،دار النهضة العربية ، بيروت ، ص٥٨.

زيد عبد الرحمن [٩]بن السلطان الأجل الهمام الأوحد ،المرحوم أبى عبد الله محمد بن مولانا أمير المؤمنين بن يحي أبى بكر أيد الله سلطانهم ،ومهد أوطانهم، وهذا الصاحب الفاضل ،هو كاتبه الذى تحلى بكتابته ملكه ،وانتظم بدرر نظمه ونثره سلكه وملكه أبوه –رحمة الله – المماليك والأملاك ،فحصل له ملكه فرأى أيده الله أن ينوه بجانبي ،وأن لا يترك حظه من إكرامي لصاحبي ،وأمر بتجهيز منزل حافل وانتقالي إليه .وإجراء كل ما احتاجه ويحتوى المنزل عليه.(البلوى ،ص ١١٦)

مما سبق يُبين لنا: أنه بمجرد وصول خبر البلوى إلى السلطان أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر الحفصي – والذى وصفه البلوى بأنه شخص لامع ذو مقام عال رفيع ،كما كان صاحب أفضال كثيرة على البلوى بالإضافة إلى براعته في الشعر والنثر – قام على الفور بإكرامه وأحسن ضيافته ،وأكبر دليل على ذلك قيام أبى زيد بتجهيز منزل على الفور للبلوى لا ينقصه شيء مما يدلل على مدى حرص أبى زيد على البلوى وتقديره له وحرصه على مجالسته. فقد حكى السلطان مع البلوى في كل شيء يخصه ،وأتحفه بغرائبه وغرائب والده .

إن البلوى ذكر الأسماء بطريقة غريبة تصيبك بالملل من طولها وفى نفس الوقت لا تعرف من هو لتجاهله ذكر الأسرة التي ينسب لها في وسط تفاصيله ، وهذا ليس عمداً منه وإنما لمعرفته الجيدة بهذه الشخصية فكأن يتحدث عنها وعن والدها وكأن الجميع يعرفها .والمبالغة الشديدة في الحديث عن الشخصيات بسبب تمجيده وتعظيمه الكبير لها..

من هنا نجد تستطيع ميول واتجاهات رحلة البلوى في قسنطينة وحصرها في توطيد علاقاته بصاحب المدينة ، وتبادل وتشاور الآراء بينهما ،وهذا ما يسمى بالغرض السياسي للرحلة . كما كان يبحث في رحلته عن مجالسة الفقهاء والشعراء والكُتاب ،ولمجرد علمه بميول صاحب قسنطينة الشعرية لم يتردد في المكوث معه .

وقال البلوى :إني لا أنسى خروج هذا النجل السعيد إلى المصلى صبيحة ذلك العيد الذى كان وجهه في عيد ،في مركب نبيل من وجوه عبيد ،متنافس في فخورة الملابس ،محففين من أداة الفوارس ، يحفونه حف النجوم بالقمر الأضحيان ، وقد ركب بين يديه صنوف من العبيد ،وألوف من أبطال الجنود ، تضيق بهم الفجاج ،وتزخر في بحر الحديد منهم الأمواج ، وقد أشرق ذلك اليوم بإشراق غرته ،وتبلج صباحه من تبلج أسرته ،ولاح الصبحان فكان الفضل لنور جبينه ،وغسق طرته ،فبهر كماله وتجملت حاله ،ورزق من أعين الناس قبولاً ،واستبانوا منه على علو صيته ذكاء وتهذباً ، في شخص حسن الخلق ، ساجي الطرف ، لين العطف ، يقظ الحس ، تشهد مخايله بما تحتها من ذكاء وفطنة تحمل من نتائجها ، من لدن صباه ،نوادر شاهدة بنهاه.

وقد اهتم البلوى واكتفى بوصف يوم عيد الفطر في شخص السلطان أبى زيد عبد الرحمن وموكبه ، وكان الأولى به أن يصف مراسم وطقوس هذا اليوم ، مما يدل على اهتمامه البالغ بمثل هذه

[٩]أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر الحفصي: متولى قسنطينة من قبل جده السلطان أبو بكر ونقله إليها فما زال بقسنطينة حتى قدمها السلطان أبو عنان فارس ابن السلطان أبى الحسن المريني من فاس يريد تملك افريقية من الحفصين ،ونزل قسنطينة في سنة خمسة وخمسين فر منه واليها أبى زيد ولحق بتونس دار ملكهم ،فقبض أبو عنان على أبى العباس وعلى أخيه زكريا وحملهما إلى فاس ،وسجنهما بمدينة سبتة مدة سبع سنين . تقى الدين أحمد بن على المقريزي : درر العقود في تراجم الأعيان المفيدة ،تحقيق محمد عثمان ، الجزء الأول ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ص١٧٠.

الشخصيات واعجابه الشديد بهم لدرجة جعلته يبالغ في وصفه بجُمل طويلة قد يمل القارئ من تفاصيلها الزائدة .

وقد أوضح البلوى أن أبا زيد لم يخرج وحده لأداء صلاة العيد صباحاً وإنما خرج في موكب كبير عظيم محاطاً به العبيد للعمل على خدمته ،مرتدياً أفخم الملابس ،الأمر الذى يدل على ثراء هذا الشخص ،كما كان الفرسان يحيطون به من أجل حراسته مما يدلل على نفوذه وعلو مكانته .وكان عدد الجنود كثيراً لدرجة جعلت البلوى يبالغ ويقول بأن الطريق الواسع لا يتحمل مثل هذه الأعداد من ضخامتها .كما حرص البلوى على توضيح مدى حرص أسرة أبى زيد على أداء الصلاة ،وخروجهم لأداء السنة ،وهذا لإبراز شيئين هامين:- الأول مدى تقوى وورع وصلاح كل أفراد هذه الأسرة .

والثاني : قوة شخصية أبى زيد وحب أسرته له مما يجعلهم يستجيبون له ولم يتخلفوا عنه .وأكبر دليل على ذلك قول البلوى. بأن كل أفراد أسرة أبى زيد خرجوا معه لأداء الصلاة، ولم يتخلف منهم أحد .

وأكمل البلوى حديثه :وقد كان الناس انتشروا حفافي طريق السلطان مستبقين إلى لقائه ، يسبق راكبهم راجلهم ، إلى أن أقبل في كتائبه ، معبأ يروق منظرها وهم يستقدمون إلى المركب الذى هو فيه فوجاً بعد فوج ، ركبانا ورجالا وقد وكل طرفه بملاحظتهم ،وسمعه بأسماعهم ،فقسم بين وجوههم من امساك عنانه ،وطلاقة وجهه بل بشره وجميل رده ما ملأهم مسرة ويجلون مبرة ،ولم يسئموا من مسايرة كوكبه ،وتكرير معاينته، واعلان الدعاء له ،ونثر الثناء عليه ، إلى أن نزله منزله من المصلى ،وذلك القطر قد راق محضره ،واجتمع باديته وحضره ،وأبدع فى الجمال مرءاه ومنظره ،والنهر قد تدفق ماؤه ،والزهر قد مدت ملاؤه ،والربيع قد بدت كبرياؤه وخيلاؤه ، والجميع قد جمعتهم آلاء الله ونعماؤه ،وشهدت بصدقهم إلى يومهم أرضه وسماؤه ،فقضيت الصلاة والخطبة وحانت الوقفة للبيعة والوثب ،وضربت الطبول فمادت الأرض لرعودها ،وقفلت الجنود ،فرجفت الجبال لحدورها وصعودها ،وقيدت الجنائب من كرام خيول القادة ،وقالوا جميعا على اليمن والسعادة ،وأقبل السلطان وقد اجتلوا من غرته السعيدة البدر في الكمال ،وعاينوا من هيبته في حال بنوته ليثا أبا الأشبل (البلوى ،ص١١٦-١١٧).

أرق من الماء الذى في حسامه طباعا
وأمضى من شباه وأنجد
له سورة مكتتة في سكينه كما أكتن في
الغمد الجرار المهند (البلوى : المصدر نفسه).

مما سبق يتضح لنا أن البلوى ركز على رد فعل الأهالي عند رؤيتهم موكب السلطان ،حيث كان لهذا صدى كبير لديهم فرُزق هذا الموكب القبول من الأهالي ،والحرص على استقباله بأحسن مظهر ،وانتقل البلوى لذكر محاسن أبى زيد ،فقال عنه أنه ذكياً مهذباً حسن الخلق عطوف لين ،وله العديد من المواقف التي تظهر ذكاءه وفطنته ، كما كان الأهالي يشيدون به ويحبونه وأكبر دليل على ذلك تجمع الناس أفواجاً في الطريق يسبق بعضهم بعضاً ،حرصاً على لقائه ومقابلته .

كما كان البلوى حريصاً على توضيح مدى تواضع أبى زيد ؛ فقال عنه: أنه التقى بالأهالي بصورة لا تقل حفاوة ولا تقديراً منهم، فقد لقيهم بوجه بشوش .وكأن البلوى أراد أن يبين لنا مدى العلاقة الحسنة

التي تربط السلطان بالأهالي لما يقوم به تجاههم لدرجة جعلت الأهالي يدعون له ،ويثنون عليه .كما حرص على اظهار مدى التزام السلطان بإقامة شعائر صلاة العيد وأنه في وسط كل هذا الاحتفال لم ينس الصلاة ،ونزل للمصلى ،وقضيت الصلاة ،ودقت الطبول ورجع الجنود .

قال البلوى وكان عيدا سعيدا ، مبديا في الجمال والأجمال معيدا ، لم نزل نميس في جديد خلعه ونتأنس بحسن منزعه ونتبهنس- نتبختر - بين مرتع ذلك القطر ومربعه ،وركب السلطان أثر صلاة العصر ثاني يوم عيد الفطر في جيشه اللهام- عظيم - ،ذي العدد القمقام –السيد العظيم- ،فركبت أنا وصاحبي في موكبه ،وركنت إلى جميل مؤاخاته ،وكريم مذهبه ،وسرنا وسار الركاب السعيد يحمل جواده الكريم عن المقام الكريم ،طود –جبل عظيم- حلم واسجاح –حُسن العفو-،وليث بسالة وكفاح ،وبحر جود وسماح ،وبدر دجنة –ظلمة- تسربل ثوب صباح ،رأيه الرشيد وعزمه المنصور وسيفه السفاح :

كأن الله خيره فسوى خلائقه

الحسان كما اشتهاها(البلوى ،ص١١٨.)

نلحظ من ذلك اطناب و مبالغة البلوى في وصف السلطان وأخلاقه فقد وصف العيد بأنه عيد ويوم سعيد غاية في الجمال بسبب وجود السلطان ، فقد بعث وجودة الفرح والسرور والبهجة في نفوس الجميع .وقد تحرك السلطان وموكبه ثاني يوم العيد ومعه جيشه العظيم وقد ركب مع هذا الموكب البلوى وبرفقة صاحبه الذى لم يذكر اسمه .مما يدل على مدى تعلقه الشديد بالسلطان لدرجة جعلته يحرص على الانضمام لموكبه والسير معه .كما يتضح لنا من خلال كتابات البلوى أسلوبه غير السهل ،و براعته في الشعر .مما يظهر براعته وقدرته اللغوية وتمكنه من زمام الألفاظ.

ثم أخذ البلوى يصف الخيل الكائنة بموكب السلطان من حيث كثرتها التي لم تكن حائلاً دون اظهار براعتها وجمالها ،فجاءت فى صفوف منظمة ومرتبة حسنة القيام لدرجة أن البلوى وصفها فى ترتيبها بصفوف المنزل المترابطة على صف واحد فى وجه كل برد وريح

قد استغرق وقتاً طويلاً في وصف هذه الخيل، فاستكمل حديثه عنها بأن فرسانها ممسكة بالأعنة ،وقائمة فى سروجها كالأسنة ،قد اعتقلوا عوالى المران ،وتقلدوا من المرهفات كل هندوانى ،من الهند عيروان ،وتنكبوا محتيات القسى أهلة لا تفضى إلى المحاق ،ولا تنى رجوم سمائها عن شياطين المراق ،بالأحراق ،واستلئموا اليلب [١٠]الحسان ،والجحف التى سوغها الأنعام والاحسان ، ما شئت من تراس تروق عيونا، وتفوق أنواعاً وفنوناً ،ودرق ينفرد الكمى بها كمينا ،وتقيه الحتوف حصناً حصينا ويقدم بها على مقارعة الأبطال واقتحام الأهوال، فتبدى النصر مكينا ،وتدنى من عقائل المعاقل الفتح مبينا ،وتسربلوا من الزرد المضاعف نسجه سرابيل .وطاروا فى ذلك الميدان عقبانا كواسر وطيرا أبابيل (البلوى ،ص١٢٠).

ولم يكن غريباً على البلوى اهتمامه الزائد والمبالغ فيه بالخيل التي كانت بحوزة السلطان ؛فعند النظر إلى نشأته نجده شب على الصيد وحب الفروسية ،فقد كان ولعاً بالفروسية ؛الأمر الذى جعله يُعطى

[١٠]هي الدروع الأمامية .البلوى : المصدر السابق ،ص٢٠ حاشية ٥٧.

كل إهتمامه لهذا الأمر ،فقد سيطرت عليه ميوله واتجاهاته .

ثم قال البلوى وجال السلطان المؤيد فى ميدان أشب الجوانب ،منسرب المذائب قد اخترقت الجداول ساحاته ،ودبجت الأزاهر مساحاته ،وأدواحه تنعطف فى أكف الرياح ،وتكاد تنقصف من الارتياح قد نشرت ورفها نشر ذوائب الحسان، وزهرت لمتأملها كأنها زهرة نيسان .فى أرض تروق ،وروض كأنما خلع عليه الشروق

وكأن نرجسه المضاعف خائض فى الماء لف ثيابه فى رأسه

فلم أر مثله ميدانا حوى كل الفخر ما بين روض يانع

وواد حكى الخنساء لا فى شجونها ولكن له عينان تجرى على صخر (البلوى ،ص١١٩).

ومن الأمور الواضحة صعوبة أسلوب البلوى، و تدعيم كل كلامه بالشعر؛ مما يؤكد حرصه ورغبته الشديدة معرفة الناس كل هذا الكلام.

وجال بين يديه من أنجاد الأمجاد ،وحماة الكماة أسود على عقبان ،وجنود كأنهم الكثبان قد أخذوا أرجاء الميدان وجوانبه ،وملأوا مشارقه ومغاربه ،وهم يسمون صفحات البسيطة بحوافر الخيل، ويثيرون قتاما كقطع الليل والأسنة تبدو كأنجم سماء والسيوف تلوح كأنها جداول ماء ،والقنا تخطر كأنها بروق خواطف ،وجياد يصم منها الصهيل كأنها رعود قواصف ،والكتيبة قد كتبت المنايا إليها كتباً تقع عليها وتسقط والبيض تشكلها والأسنة تنقط

والسيف دامى المضربين كجدول فى ضفتيه شقائق النعمان (البلوى،ص١٢٠).

وهذا يؤكد ما أشرنا إليه من حب البلوى للخيل وولوعه بوصفها لدرجة قد تصيب القارئ بالملل وهذا الحب وتلك الرغبة بالخيل ووصفها ربما شغلته عن وصف أي شيء آخر قد يكون موجوداً تلك الفترة بالدولة. فغدا حماها وهو مباح ،وأرواح فوارسها تكاد تسنباح ،والأنابيب تتخلل كأنها الأرماح والظهور توسم ،والوجوه قد اثخنتها الجراح ،ووجهه الصبيح والشمس قد أومضا ايماضاً وأفاض من سناهما أفاضا. وأعلام الدولة قد حفوا بلوائه .وتألقوا فى سمائه .كأنهم النجوم اشراقاً.والدر انتظاماً واتساقاً ،ولما فنى اليوم أوهم .وكاد وجه النهار أن يدلهم ، انعطفنا للرجوع فى صهوات الجهاد .وانصرفنا نميس طرباً كالغصن المياد ،وسرنا ويمن الملك الأجل يهدينا .ونوره يسعى بين أيدينا . فلا زالت دولة مولانا أمير المؤمنين ،أيده الله، بمثله ،من أوليائه المستظلين بظل أفيائها ،محمية الأقطار مقضية الأوطار ،تتوالى عليها الأعياد توالى العهاد على الروض والوارد على الحوض ،ولا زال أمرها المطاع وجدها الصاعد وعها الأقعس ،ورياتها الظاهرة وحزبها الغالب وأيامها السعيدة ولياليها البيض وعبيدها الأحرا وغنائمها الدول ،ونوالها السفاح ولواؤها المنصور ومنارها الهادى ،ورأيها الرشيد ،وغيبها الأمين ،وسطوها المأمون وجارها المعتصم ،ومؤملها الواثق ،وخادمها الموفق ،وهنا الله مولانا عيداً، هو عبده وموسماً زانته سيماه، وفطراً بكرمه كرمت فطرته ،ولقاه الروح والريحان عن قيامه ،كما اختصه بأجور من فطر من الصائمين

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا (البلوى ،ص١٢١).

وعلى الرغم من كل هذا إلا أن البلوى كان حريصاً على مرافقة السلطان والنقل عنه فقال وما برحت مع صاحبي الفاضل ألقى من فوائده انتفاعاً ،وأرى من أخلاقه انطباعاً وأجد من أكنافه رحباً واتساعاً ،وأرد من موارد كرمه مناهل أشيم برق الجنى من سحائبها لماعا، وهو وإن كان أمامي الذى به اقتديت فقد روى عنى كما عنه رويت ،فإنه لم يمهلني سوى ريثما نزلت عن ظهر الجواد ، حتى طلبني بما حصلت بعده من الفوائد والأناشيد فى تلك البلاد ،فأرسلت عليه سيلا عرماً من الإنشاد ،وهمت معه من الأدب فى كل واد ،فكان مما أطربه من ذلك وأعجبه ولم يلبث أن قيده ساعته تلك وكتبه من فلق فيه ،وبديع قوافيه شيخنا الإمام عز الدين أبو اسحاق بن حباسة لشهاب الدين التلعفرى[١١] مقدم شعراء الناصر وذلك قوله :

أي دمع من الجفون أسأله اذ أتته مع النسيم رسالة (البلوى ،ج٢،ص١٢٤-١٣٥).

وأرى مما سبق أن البلوى كان حريصاً كل الحرص على مرافقة ومصاحبة السلطان من أجل تحقيق هدفه ،وهو مجالسة العلماء والشعراء والأخذ عنهم ، فقد التقيا ودارت بينهما مناشدات وحديث أدبى ، وهذا ما قام به البلوى ،فقد أنهل من فيض علمه وشعره وتعلم من اطباعه وأخلاقه وأخذ من كرمه ونقل عنه وروى له .ولكن البلوى أشار إلى نقطة هامة : وهى أنه على الرغم من الإفادة العظيمة من السلطان لأنه قدوته ،إلا أن السلطان استفاد هو الآخر من البلوى، وروى عنه، وأكبر دليل على ذلك أن السلطان بمجرد أن التقى بالبلوى طلب منه السلطان على الفور أن ينشد عليه كل ما حدث له خلال رحلته ولم يعطه فرصة لأخذ قسط من الراحة ،وعلى الفور استجاب البلوى لغرضه ،وما لبث أن قام السلطان على الفور بتدوين وكتابة كل أناشيد البلوى وقصائده مما يدلل على كثرة اعجابه وولعه بها، وخوفاه عليها من الضياع لذا دونها وأمر السلطان الشيخ عز الدين بن حباسه بتدوينها .

كما كان البلوى معجباً بالرباعيات [١٢]المشهورة بالدوبيتين ،وهى التي أولع بها المشارقة .وقد اشتهر بها البلوى ،ومن كثرة حبه لها وولعه بها أعطانا صوراً ونماذج كثيرة له (البلوي، تاج المفرق،ج٢، ص ١٢٤-١٣٥).

وقد حكى لنا البلوى حواره مع السلطان بأمر الرباعيات ،فقد طلب منه السلطان أن ينشد عليه كل ما يعرفه عن محاسن الرباعيات ،وعندما سمعه قال له السلطان إن هذا النوع من الشعر غير معروف عند المغاربة وقال له قله يا خوند [١٣]وذكر له أنه مثلما لا تحسن المشارقة الموشحات والأزجال فالمغاربة لا تحسن الرباعيات .وطلب منه أن ينشد عليه من هذا الطراز :

---

[١١]الشيخ الفاضل العلامة شهاب الدين التلعفرى ،الدمشقي ،الشافعي، المشهور بابن المحوجب ولد فى ربيع الأول سنة إحدى أو اثنتين وأربعين وثمانمائة ،وطلب العلم ،وكان له خط حسن ،وكتب بخطه كثيراً لنفسه ،وكان مهاباً عند الملوك والأمراء ،وله كرم وافر ،وسماطه من أفخر الأطعمة يأكل منه الخاص والعام حتى نائب دمشق وقاضيها ،وكان له كلمة نافذة يأوى إليه كل مظلوم ،وكان قد جأ الليل ثلاث أثلاث .ثلثاً للسمر مع جلساته والكتابة ،وثلثاً للنوم ،وثلثاً للتهجد والتلاوة .نجم الدين محمد بن محمد العزى ت ١٠٦١هـ: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق خليل المنصور ،الجزء الأول ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ص١٣٨.

[١٢]الرباعيات عند الشعراء :عبارة عن الدوبيت ،وهو بيتان من الشعر متفقان في الوزن والقافية .وليس من شرطه موافقة المصراع الثالث ويقال لهذا النوع من الشعر الخصى والدوبيت والمصاريع الأربعة والأغنية .

محمد على التهانوى : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم رفيق العجم ، تحقيق على دحروج ، نقله من الفارسية إلى العربية عبد الله الخالدى ،الجزء الأول ، مكتبة لبنان،ص٨٤٢.

[١٣]خوند أى السيد فارسية الأصل .

البلوى:تاج المفرق ،ج٢ ،ص١٣٥.

مولاي أراك دائم الاعراض والعمر يمر ضائع الأغراض

كم أسئلك وكم تمنعه الملك لمن أصبحت عنه راض

وهنا أزفت النوى كان لابد من الرحيل والفرقة بعد التآلف ،وقام البلوى بذكر رحليله من قسنطينة بالتفصيل فترك المكان ودموعه منسربة كأنه لم يرغب على تركه ويدل أيضاً على شدة تعلقه بالسلطان وقال فى يوم رحيله

يوم الفراق لقد خلقت طويلا فلم تبق لى صبراً ولا معقولا

قالوا الرحيل فما شككت بأنها نفسى عن الدنيا تريد رحيلا

ثم خرج البلوى من قسنطينة ضحوة يوم الخميس السادس لشوال من عام أربعين في لمة من فتيان الوفاء ،وفرقة من اخوان الصفاء ترسل أولى الخيل على أخراها وتعرض السوانح فسيحضرها أدناها :

كان بزاتهم أمراء جيش على أكتافهم صدأ الدروع

(البلوى ،ج٢،ص١٣٧-١٣٨).

مما سبق يتبن لنا أن البلوى دخل مدينة قسنطينة يوم السادس والعشرون من رمضان لعام أربعين أي ٧٤٠ هـ وخرج منها في السادس من شوال لعام أربعين ،فقد كانت رحلته في مدينة قسنطينة عبارة عن عشرة أيام تقريباً ،وعلى الرغم من قصر رحلته بهذه المدينة إلا أنها حققت نتائج هامة ، منها :إنه تعرف على عادات وتقاليد أهل المكان ،خاصة في الأعياد كما ركز في رحلته على السلطان ،ومدى علاقته بأهل بلده ،كما أعطانا وصفاً دقيقاً لملابس السلاطين في مثل هذه المناسبات ،ولم ينس أن يوضح لنا مدى ايمان السلطان، وحرصه على أداء الصلاة في جماعة ،كما أعطانا صورة واضحة عن مدى اهتمام السلطان بالحياة العلمية الأدبية للمدينة من خلال مجالسته له وللشعراء والكتاب ،مما يدلل على تطور الحياة العلمية في عهده، وهذا كله في خلال أيام .

واستكمل البلوى حديثه موضحاً انتقاله من قسنطينة فقال: وما زلت أساير السبيل السالك أتأمل في جمال الطري بين قسنطينة وما يليها من مدن ،فكأنك ترى أجمل منظر وأنت تسير في هذا المكان (البلوى ،ص١٣٨- ١٣٩).

وكأن البلوى قصد بيان سهولة رحلته من قسنطينة وخلوها من المهاول والأخطار وسهولة ويسر عملية الانتقال وذلك بفضل دعم ومساندة سلطان قسنطينة له ،الذى لم يتركه يتحرك وحده بل سيِّر معه الأدِّلاء ليدلّوه على أسهل وأيسر الطرق للوصول لهدفه ،كما أعطانا صورة عن الطريق ما بين قسنطينة وبجاية لإظهار مدى الجمال الذى يتمتع به المكان .

<u>رحلة البلوى في مدينة بجاية :-</u>

يحكى البلوى دخوله مدينة بجاية بقوله: دخلت بجاية المحروسة في يوم الأحد السابع عشر لشوال :فنزلت بها في قصر من الديار ،ودار من القصور ،دار تخجل منها الدور ،وتقاصر عنها القصور ،وتقر لها بالقصور:

دار مشى الاتقان من تنجيدها حتى تناسب روضها وبناؤها

مرموقة الجنبات ذات قرارة يمتد قدام العيون فضاؤها

ما زال يضحك دائما نوارها في وجه ساحته ويلعب ماؤها [١٤].

مما سبق عنّ لي:-

- إن البلوى قد خرج من مدينة قسنطينة يوم السادس من شوال ودخل بجاية يوم السابع عشر من شوال أي أنه استغرق خلال انتقاله بين هاتين المدينتين حوالى احدى عشر يوماً ، ولكنه لم يذكر هذه الأيام بشيء . كما أنه يختلف عن كثير من الرحالة في اهتمامه الشديد بذكر المكان الذى نزل به في المدينة وهذا ليوضح لنا مدى الحفاوة والكرم والقبول الشديد من الأهالي وحكام المنطقة لدرجة جعلتهم يخصصون له أفضل الأماكن للمكوث فيه.

والثاني :إن الرحالة قال عن بجاية المحروسة ،قاصداً بذلك توضيح مدى القوة والحصانة التي تتمتع بها هذه المدينة ،كما تحدث عن الدار التي نزل بها وشبهها بالقصر ليدلل لنا عن مدى الثراء والغنى الذى تعيش فيه المدينة ولم يقتصر الأمر على الأبنية الخارجية فقط، فقد وضح لنا أن مكونات الدار الداخلية لا تقل فخامة عن بنائها لدرجة تجعل هذا البناء من أفضل الأبنية التي لا يضاهيها بناء آخر .

ثم بدأ البلوى يقص علينا كيف ضايفه صاحب بجاية ،فقال: ونحن تحت ظلال ضيافة السلطان الأجل، الأفضل ،الأنجد ،الأمجد ،الأكمل، سراج الدولة ،وريحانة الملك ،وطليعة النجابة أبى زكرياء يحيى بن مولانا أمير المؤمنين أبى يحيى أبى بكر[١٥] .أعلى الله أمرهم وأعز نصرهم ،فهو أسد الحملة وفارس الجولة الذى جاء بئاية أوضح وأجلى وطلع من ثنية الملك ابن جلا ،فأحكم الله بأخباره أخبار الأول ،كما نسخ بهذه الدولة وملوكها الملوك والدول ،وجعلها مستولية على جميع المآثر والآثر ،مستوفية لكل المجد من عين وأثر ،وأقمنا يطاف علينا بالطيبات والطيب بين العود الرطب وجنى الغصن الرطيب ،والنادي الذى احتوى الشادي الشادن والأديب اللبيب وجمع مع الصادق ،والحميم الحبيب ،هو الفقيه الفاضل الكامل أبو الحسن على بن محمد المشتهر بالحمى (البلوى ،ج٢،ص١٣٩).

شقيق أخاء لا شقيق اخوة نسيب صفاء ان ذكرت نسيبا

أحلته هنالك الأقدار واصمئنت به فى تلك المدينة الدار ،ونزح فى طلب العلم عن الأوطان حتى صار كاتبا لهذا السلطان فتمتعت بموانسته وتمنعت الا عن مجالسته .وتعاطينا أحاديث كأنها رضاب وفوائد لها بيننا اقتضاء واقتضاب :

أحاديث أحلى في النفوس من المني وألطف من مر النسيم إذا سرى.

وتذكرنا أزماننا بغرناطة ،سقى الله أرجاءها المشرقة ،وأغصانها المورقة ،ولله أيامنا بها التي كانت موشية ،وعكوفنا على العلم فيها غدوة وعشية ،وقد امتد ببغيتنا في ميدانها عنان .،وجنّ بتسنى أمنيتنا فيها جنان ،والزمان غلام ،والدنيا تحية وسلام ،والغصن

[١٤]أبو الحسن على بن محمد ،وقد ذكره البلوى بأنه المشهور بالحمى ولكن الصحيح هو المشهور باللخمى وهو على بن محمد الربعى ،أبو الحسن المعروف باللخمى ،فقيه مالكى له معرفة بالأدب والحديث ،قيروانى الأصل ،نزل صفاقس وتوفى بها ،له تعليق كبير على المدونة فى فقه المالكية سماه التبصرة أورد فيه آراء خرج فيها عن المذهب ،وله كتاب فضائل الشام . على بن محمد التمكروتى : النفحة المسكية فى السفارة التركية /أدب الرحلات ، حققها وقدمها محمد الصالحي المغربي ،الطبعة الأولى ،٢٠٠٧،دار السويدى للنشر ،أبو ظبى ،ص١٥٢؛ البلوى :المصدر السابق،ص١٣٨.

[١٥]أبو زكرياء يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ،من ملوك الدولة الحفصية بتونس بُويع له بعد وفاة أبيه سنة ٦٧٥هـ ،وثار عليه عمه ابراهيم بن يحيى ،فخلع نفسه سنة ٦٧٨ ثم اعتقله عمه وذبحه مع بنيه، وهو المعروف بالمخلوع . مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس ،تحقيق عبد القادر بوباته، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص٢٦٦؛ خير الدين الزركلى : الأعلام ، الجزء الثامن ،٢٠١٩،ص١٦٦،على بن محمد التمكروتى ،النفحة ،ص١٥١حاشية ٢.

رطيب وبرد الشباب قشيب والشمل جامع ،والدهر مجيب وسامع ،وأيامنا أعياد وللسعد في زماننا انقياد ولاهم الا مباحثه صحاب ،أو مجاذبة آداب ،أو ائتلاف على تأليف درر الفوائد وانتداب ،فبالغ الزمان في تفريقنا حتى بلغ الغاية ،وأبدى من تغريبنا وتشريقنا العجب والآية ،وذهب البين بنا كل مذهب وقدر لنا أن اجتمعنا ببجاية

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقينا [١٦]

مما سبق يتبن لنا الآتي :

أولاً: إن البلوى قد بالغ مبالغة شديدة وطويلة لدرجة الملل في طريقة وصف صاحب بجاية ،ومع كل هذا التطويل لم يذكر اسمه كاملا واهتم بذكر اسمه واسم آبائه وأجداده ولم يذكر اسم عائلته كأن القارئ عاصره ويعرفه معرفة جيدة .

و في بعض الأحيان يكتب الاسم خطأ مثل أبى زكرياء يحيى بن مولانا أمير المؤمنين أبى يحيى أبى بكر فكتبه بهذه الطريقة ولكن عندما بحثت عن الاسم وجدت أن الصواب فيه أبو زكرياء يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص. وأيضاً أبو الحسن على بن محمد الذى ذكره البلوى بأنه المشهور بالحمى ولكن الصواب أنه المشهور باللخمي

ثانياً: إنه وضح لنا من خلال كلماته أن هذا السلطان يتمتع بقوة وشجاعة ليس لها حدود وأكبر دليل على ذلك شجاعته في الحروب والمعارك لدرجة جعلته يحافظ على الدولة وكيانها ويسيطر على الأعداء المجاورين لها .

ثالثاً: وضح لنا مدى السخاء والكرم والحفاوة الذى واجهه بها صاحب بجاية .

رابعاً: كان أهم شيء ذكره البلوى خلال وجوده في بجاية مقابلة الأدباء والكُتاب ،وعلى رأسهم الفقيه أبى الحسن على بن محمد المشتهر بالحمى، الذى قال عنه البلوى بأنه أخ له ،وليس صديق وأنه يشكر القدر لملاقاته في بجاية، فكم سَعد للقائه ورؤيته والجلوس معه ،فقد خرج من بلاده يبحث عن العلم في المدن والبلدان حتى استقر به الحال في خدمة صاحب بجاية الذى أصبح كاتباً له ،فيقول البلوى: إنه تبادل الحديث العلمي معه ،وأفاد واستفاد من هذا المجلس كثيراً. وقد تسببت موهبة البلوى الأدبية في أن يكون من أهم كتاب السلطان .

خامساً: استغرق هذا المجلس فترة طويلة استعاد فيها البلوى ذكرياته مع أبى الحسن على بن محمد في مدينة غرناطة بالأندلس، وعبر الاثنين عن مدى لهفتهما وشوقهما لهذه الأيام لدرجة جعلتهم يقولون عنها : بأنها أيامهم المزخرفة . كما وضح لنا مدى صبرهم وجلدهم وتحملهم من أجل العلم والتعلم ليل نهار .وعلى الرغم من كل هذا الاجتهاد والكد والتعب إلا أنها كانت أيام كلها أعياد ومواسم لرغبتهم وحرصهم على العلم .وظل الوضع هكذا حتى تفرقا من أجل التعلم ؛ فقد تفرق على العلم واجتمع عليه ،وقُدر لهم بعد هذا الفراق اللقاء في مدينة بجاية كأنها أصبحت ملتقى للعلم والعلماء .

وحين تباثتنا الأسرار ،وتناشدنا الأشعار ،وأنشدنى من المقطوعات ما لم أرضه ولا أثبته وكنت قديماً قد سمعته فنبذته ،فقال لي : انما الإعراب للأسماء ،ولا يجوز التيمم مع وجود الماء اياك أردنا ،وأنت فأنشدته في المعنى الذى أشار إليه والمورد الذى

[١٦] البيت لمجنون ليلى ت٦٤٠/٦٨٨هـ. البلوى :تاج المفرق،ص١٣٩-١٤٠.

حام عليه لجمال الدين بن العطار [١٧]،كما أنشد لبعض الفضلاء من أهل العصر ،وأنشدنى لأبى فراس الحمداني[١٨] ،وأنشدته لابن المعتز [١٩]،وأنشدته لابي القاسم بن كامل ،وأنشدته لعماد الأصفهاني ،وأنشدته لعز الدين ابن العجمي [٢٠]،وأنشدته لابي تمام غالب بن باح [٢١]،وأنشدته لابن عبد ربه القرطبي ،وأنشدته لابن حصن الإشبيلي ،وأنشدته للملك الناصر بن العز سلطان الشام ،وأنشدته لعز الدين بن العجمي الحلبى ،وأنشدته لبعض المشارقة ،كما أنشدته للأمير حسام الدين بن بهرام الحاج الايلى ،وأنشدته لابي الحسن رستم المعروف بابن الساعاتي [٢٢] وغيرهما فقام وقبل رأسي ،وقال كيف يعارض من جال آفاق المغرب وهو ينفض الغبار من خوض احشاء المشرق ، فلما أطنب فيما به أثنى ،سلكت به في غير هذا المعنى ،وأقمت منها بين جداول كالسيوف المرهفة ،وبسط نبات كالبرود المفوفة ،وأيام معلومات الذيول ،عاصرت عرفي الصبا والقبول ،نعمنا ببكرها وآصالها .وأمتعنا بتواليها واتصالها والسعد لنا خادم ،وما غير السرور علينا قادم ،ولما هصرت من أنسى غصنا ميادا ،وانصبت بميدانها للأنس جيادا ،خرجت مودعاً لذلك الأخ الفاضل ،وشاكراً لتلك الشيم والمخائل وسائر بين تلك الربى والخمائل ،فى يوم الأحد الرابع والعشرين من شوال (البلوى ،ص١٤٠-١٤٤).

مما سبق يتضح لنا أن حديث ومسامرة البلوى مع صاحب بجاية قد أسفرت عن:

- ثقة كل منهما في الآخر فلم يترددا في ذكر أخبارهما وتجاربهما ووسط كل هذا لم ينكرا أسرارهما.
- لم يخلو حديثهم ومسامرتهم عن انشاد الشعر وتبادل القصائد.
- ثقافة البلوى الواسعة ، وقدرته على تمييز الغث من الثمين ؛فقد كان على معرفة سابقة بما قاله صاحب بجايه من الشعر ،ولم تعجبه أشعاره ،الأمر الذى يظهر قدرته النقدية ومخزونه الشعرى.
- مدح صاحب بجاية للبلوى بقوله اياك أردنا ؛ تعنى أنك المقصود وأنت غايتنا .
- وجود مخزون معرفي كبير عند البلوى ، وتمكنه من كل ضروب الشعر ،مما مكنه من انشاد ضروب مختلفة من الشعر .

---

[١٧]محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العطار الجزائري ت٧٠٧هـ/١٣٠٨م فقيه ،أديب ،نشأ بالجزائر العاصمة وولى قضاءها .وهو ليس ابن العطار المشرقي الذى كان معاصراً لابن حجة الحموي .له نظم الد في مدح سيد البشروالمورد العذب المعين في مولد سيد الخلق أجمعين فرغ منه سنة ٦٩٦هـ.عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ،مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت ،الطبعة الثانية ،١٩٨٠م، ص٢٣٣-٢٣٤.

[١٨]ولد أبو فراس فى الموصل سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م ،ونشأيتيماً ،فكفله ابن عمه سيف الدولة ،وعطف عليه ،وشمله بالحب والحنان ،وتعهده بالعناية والرعاية ،وحمله معه إلى حلب .وقد رأى سيف الدولة في أبى فراس دلائل النجابة والذكاء ،ومعالم الفروسة فنشأ عليها ،وأنمى مواهبه وغذاها ،وعلمه وثقفه فأذكى فطرته ،وأخصب فطنته ،فتأججت مواهبه الأدبية والفكرية .حتى غدا فارس بنى حمدان يدافع عنهم ويقود رجالهم .أبو فراس الحمداني : ديوان أبى فراس الحمداني ،دار الكتب العلمية ، ٢٠٢٠،ص٤.

[١٩]والمقصود به أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي ٢٤٩-٢٩٦هـ الشاعر المعروف وصاحب كتاب البديع . التمكروتى ،النفحة،ص١٥٤حاشية ١

[٢٠]عز الدين ابراهيم بن صالح العجمي ٦٤٠-٧٣١ سمع من ابن خليل وهو آخر من حدث عنه وابن عبد الديم ،وسمع منه البرزالى والذهبي .شمس الدين أحمد الذهبي الدمشقي : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ،تحقيق محمد عوامة ،دار القبلة للثقافة الاسلامية ، جده، ص٩٧. شهاب الدين ابو الفلاح بن العماد الحنبلي :فهارس شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،اعداد مصطفى عطا ،الجزء التاسع ،دار الكتب العلمية ،ص٢٥٥.

[٢١]أبو تمام بن رباح الحجام شاعر .عاش في زمن الطوائف .لا يعلم له أب ،تعلم الحجامة فأتقنها ،ثم تعلق بالآداب حتى اشتهر به .وهو شاعر قلعة رباح غربي طليطلة . أبو العباس أحمد بن محمد/المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،شرح مريم قاسم طويل ،الجزء الخامس ،دار الكتب العلمية ،ص١٤٣حاشية ٢.

[٢٢]على بن محمد بن رستم بهاء الدين أبو الحسن الدمشقي ثم المصري المعروف بابن الساعاتى الأديب .توفى سنة ٦٠٤ له ديوان في مجلدين وكتاب مفاتيح العلوم .التمكروتى :النفحة ،ص١٥٧حاشية ٢.

- مدح صاحب بجاية للبلوى والاعتراف بفضله وعلو مكانته، لقوله له كيف يعارض من جال آفاق المغرب وهو ينفض الغبار من خوض احشاء المشرق، وقد أطنب في المدح لدرجة جعلت البلوى يقطع الحديث عليه.
- سلك البلوى منهج العلماء الربانيين في بُعده عن كثرة الثناء والمدح .
- لم يُخرجه الثناء عن المقصد الأساسي من رحلته حيث أكمل في وصف المكان .

الخاتمة

مما سبق يتضح لنا أن:-

- رحلة البلوى مرت بمدينتي قسنطينة وبجاية مرتين ذهاباً وإياباً ،ففي المرة الأولى أثناء تحركه من الأندلس إلى المغرب دخل مدينة بجاية قبل مدينة قسنطينة ،ومكث بهما فترة شهر تقريباً ،وعبر عن مدى حبه واعجابه بالمنطقة وبأهلها وعلمائها لدرجة جعلته حريص كل الحرص على العودة لها وملاقاة علمائها .
- قصر عمر رحلة البلوى في مدينتي قسنطينة وبجاية اياباً ؛حيث لم تتخط عدة أيام ؛ فقد بدأت الرحلة في مدينة قسنطينة يوم السادس والعشرون من رمضان وانتهت يوم السادس من شوال ؛مما يعنى أنه مكث بالمدينة عشرة أيام فقط ،ثم استكمل رحلته ودخل بجاية يوم السابع عشر من شوال وخرج منها يوم الرابع والعشرون من شوال معنى ذلك أنه مكث فى بجاية سبعة أيام فقط ، مما يعنى أن فترة مكوثه في المدينتين حوالى سبعة عشر يوماً فقط . كما أننا نجد البلوى قد خرج من قسنطينة يوم السادس من شوال وعلى الرغم من ذلك لم يدخل بجاية إلا يوم السابع عشر من شوال وهذا يعنى استغراقه احدى عشر يوماً في الانتقال ما بين قسنطينة وبجاية رغم أن المسافة بينهما تقدر بستة أيام فقط ومع ذلك لم يذكر شيئاً عن تلك الفترة مما يعنى أن الأيام الزائدة اتخذها البلوى للراحة ، لأنه لو استضافه أحد لتحدث عن ذلك لا نه يميل في حديثه لذكر مثل هذه الأشياء . كما أنه من الواضح أنه لم تواجهه أي نوع من أنواع المشاكل خلال هذه الفترة لأنه ذكر أن الطريق كان سالكاً.
- رغم أن فترة مكوث الرحالة في مدينتي قسنطينة وبجاية أثناء ذهابه أطول من فترة مكوثه بهما اياباً ،ولكن افادته كانت عظيمة إياباً ،وهذا لأنه تعرف على المنطقة من قبل وعرف جيداً ما يريده من هذه المدن.
- رحلة البلوى رحلة علمية تعليمية سياحية سياسية ؛فقد تجول الرحالة في مدينتي قسنطينة وبجاية ووصف لنا بإيجاز شديد لبعض بيوتها وقصورها وشوارعها، وهذا ما يسمى بالرحلة السياحية ،كما قابل أهل العلم وجالسهم وتبادل معهم الآراء وأسمعهم كثيراً من أناشيده وأفادهم كثيراً وهذا ما يقع تحت مسمى الرحلة العلمية ،كما أنه وطد علاقاته بأصحاب مدينتي قسنطينة وبجاية وحرص طوال فترة مكوثه في بلادهم عدم مغادرتهم من أجل توطيد العلاقات بينهما

وتبادل الرأي وهذا ما يسمى بالرحلة السياسية .

- رحلة البلوى في مدينة قسنطينة رغم قصرها الشديد إلا أنها من الأهمية بمكان ؛حيث نقلت لنا صورة واضحة وكاملة عن اهتمامات المدينة والقائمين عليها فترة زيارة البلوى لها من اهتمام بالحياة العلمية والأدبية ومجالسة للرحالة والعلماء والشعراء والكتاب وتدوين أشعارهم .
- البلوى رحالة شاعر فقد بلور لنا كل مواقفه وجلساته في رحلته على هيئة أناشيد شعرية وكأننا كنا في رحلة مع شاعر .
- إن البلوى لم يخرج في رحلته لغرض وهدف واحد ،بل كان لرحلته عدة أغراض مختلفة حسب طبيعة كل مكان ،كما أنه انتقى أماكن معينة للزيارة مما يدلل على دراسته الجيدة للمكان قبل دخوله.
- اهتمام البلوى البالغ بذكر المكان الذى يمكث فيه بمجرد دخوله للمدينة؛ رغبةً منه في توضيح مدى الحفاوة والكرم من أهالي المدينة وحبهم له .
- لم يهتم البلوى بذكر الأعلام كاملة ،ويحتاج الأمر لمجهود للتعرف على من يقصد وهذا لأن هذا الشخص مشهور ومعروف بالنسبة له .
- يدل اسم كتاب البلوى تاج المفرق في تحلية علماء المشرق على رغبته وخروجه خصيصاً لملاقاة العلماء المشارقة وغيرهم والمكوث معهم .
- استطاع البلوى تحقيق الغرض والهدف من الرحلة، ونحج فيه إلى حد كبير وهو الغرض العلمي ومجالسة الفقهاء والأدباء والشعراء والكتاب .
- من المآخذ التي تؤخذ علي البلوى ذكر أسماء السلاطين و الأمراء و الفقهاء و الأدباء غير مكتملة ، فلم يذكر اسماً كاملاً طوال رحلته في قسنطينة وبجاية مما تسبب في صعوبة البحث عن الشخصيات وتعريفها.
- لقد شغل البلوى وظائف سامية في مدينة بجاية خلال فترة رحلته ،فقد استكتبه السلطان أبو زكريا يحيى الحفصي في بجاية ،وهذا يرجع إلى ثقته به بسبب موهبته الأدبية.
- لقد كان المصدر الحقيقي لرحلة البلوى هو مشاهداته ووقوفه بنفسه على حقائق الأمور واتصاله المباشر بالعلماء .
- عاش البلوى سبعة وخمسون عاماً ، فقد ولد عام ٧١٣هـ وتوفى عام ٧٨٠هـ ،وكان خروجه للرحلة من الأندلس وهو يملك من العمر حوالى ثلاثة وعشرون عاماً ودخل منطقة قسنطينة وبجاية عام ٧٤٠هـ وعمره سبعة وعشرون عاماً.
- لقد كانت رحلة البلوى رحلة أدبية لما في أسلوبها من شعر ونثر قوى محكم ،فعبر بأسلوبه البديع عن مشاهدات كثيرة واتصاله بالعلماء .

- المكانة الكبيرة التي يتمتع بها البلوى لدى أصحاب المدن مما جعلهم يمتدحونه ويثنون عليه وعلى أعماله الأدبية.

نقلا عن حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص١٦٧.

قائمة المصادر والمراجع :-

- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن على ت 732 هـ: تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ،١٨٤٠.
- البلوى (خالد بن عيسى ت ٧٦٨هـ: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن بن محمد السائح ، الجزء الأول
- البلوى (خالد بن عيسى ت٧٦٨هـ : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن بن محمد السائح ، الجزء الثاني.
- التمكروتى (على بن محمدت ١٠٠٣هـ: النفحة المسكية في السفارة التركية /أدب الرحلات ، حققها وقدمها محمد الصالحي المغربي ،الطبعة الأولى ،٢٠٠٧،دار السويدي للنشر ،أبو ظبى.
- التنبكتى (أحمد بابا ت٩٦٣هـ : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ،دار الكاتب ،طرابلس .
- الحمداني (أبى فراس ت 357 هـ: ديوان أبى فراس الحمداني ،دار الكتب العلمية ، ٢٠٢٠.
- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت في أواخر القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي:الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق احسان عباس، بيروت ،١٩٧٥.
- الحنبلي (شهاب الدين ابى الفلاح بن العماد :فهارس شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،اعداد مصطفى عطا ،الجزء التاسع ،دار الكتب العلمية .
- الدمشقي (شمس الدين أحمد الذهبي ت 748هـ : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ،تحقيق محمد عوامة ،دار القبلة للثقافة الاسلامية ، جده.
- (الصفاقسي) محمود بن سعيد مقديش/أبي الثناء "ت ١٢٢٨هـ" : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار،تحقيق محمد عثمان ،الجزء الأول ،دار الكتب العلمية ،بيروت
- العزى (نجم الدين محمد بن محمد ت١٠٦١هـ: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق خليل المنصور ،الجزء الأول ،دار الكتب العلمية ،بيروت .
- الفيروآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ : القاموس المحيط، تعليق أبو الوفا نصر الهورينى (الشافعي ، مراجعة أنس محمد الشامي ،دار الحديث ، القاهرة
- القلقشندي (أحمد بن علي ت٨٢١هـ : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد الخطيب ، الجزء الخامس ،دار الكتب العلمية ،بيروت.
- (مجهول) مؤلف : تاريخ الأندلس ،تحقيق عبد القادر بوباته، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المقري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد ١٠٣٩هـ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،الجزء الثاني ،دار صادر ،١٩٦٨.

- المقري (شهاب الدين بن العباس أحمد بن محمد ت١٠٣٩هـ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،شرح مريم قاسم طويل ،الجزء الخامس ،دار الكتب العلمية.
- المقريزي (تقى الدين أحمد بن على ت٨٤٥هـ : درر العقود في تراجم الأعيان المفيدة ،تحقيق محمد عثمان ، الجزء الأول ،دار الكتب العلمية ،بيروت.
- (النميرى) ابن الحاج :فيض العُباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ،اعداد محمد بن شفرون ،دار الغرب الاسلامى ،بيروت ،١٩٩٠

- المراجع :-
- خير الدين الزركلي ١٣٩٦هـ: الأعلام ،الجزء الثاني ،دار العلم ،بيروت .
- خير الدين الزركلي: الأعلام ،الجزء الثامن ،دار العلم ،بيروت

- ابراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، مادة رحل ، مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية،٢٠٠٤ ،
- حسين ابراهيم محمد الجبرانى :الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول ،الطبعة الأولى ،٢٠١٧، دار غيداء للنشر
- عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ،مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت ،الطبعة الثانية ،١٩٨٠م.
- عبد المجيد خيالي :شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،ج١،المطبعة الملكية،٢٠١٠.
- فناوى بعلى :صحراء الجائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات وفى الكتابات الغربية ،دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع ،٢٠١٨م.
- محمد عبد حتاملة : موسوعة الديار الأندلسية ، الجزء الأول ،١٩٩٩.
- محمد على التهانوى: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم رفيق العجم ، تحقيق على دحروج ، نقله من الفارسية إلى العربية عبد الله الخالدى ،الجزء الأول ، مكتبة لبنان
- مجموعة من المؤلفين: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ،الجزء الرابع ، منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجبل ،بيروت ،٢٠٠٤.
- نبيل خالد الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب نثره وشعره وثقافته في إطار عصره ،دار النهضة العربية ، بيروت .

The journey of bile to the Cities of Constantine and Bejaia in eighth century, Hajri, the fourteenth AD

Shaima Abdel Hamid Al Banna
Lecturer, Faculty of Arts - Damanhour University

Abstract

The journey to Constantine and Bejaia was part of an individual effort to resurrect and spread the legacy. It is part of the Hijazi Journey called "The Taj of Mafraq in the Dessert of Scholars of the Orient" by Khalid ibn Isa al-Balawi. He was a distinguished Andalusian traveler who was rich in thought, production and research, and left his country to perform his pilgrimage, look to Islamic cultural centres in the Orient and meet jurists and scholars. The meaning of the journey must be defined in language and idiom. When did it start in Constantine and Bejaia? First of all, what is the main purpose of the trip to El Balawa in general and to Constantine and Bejaia in particular? And was this trip a success? .. It is a geo-historical, social-literary journey that is no less important than any other journey by Moroccans and Andalusians like Ibn Rushd and Ibn Battuta, but differs from it in some of the details of the research. The most important thing is the development of Andalusian prose in the 8th century Hijri through the writings and style of Al-Balwa. The expedition also described intellectual life through his contacts with scientists and jurists, his contact with him, and prolonged living with them, and we will illustrate this in research. This research is a geo-historical scientific journey in the two cities of Constantiya and is important, so we will review this place in detail through observations of the scourge.

Keywords: Balladea - Cortinea - Coptic - Scientific Travel Facilities - Mashreq Sciences – Morocco